قراءة في فكر الإمام الجنيد البغدادي- رحمه اللّه- القيم الأخلاقية أنموذجاً

A reading of the thought of Junaid al-Baghdadi, may God protect him -Moral values as a model

بحث تقدم به:

أ. م. د. جنيد ساجد جهاد حسن العزاوي

junaid sajid Jihad Hassan Al-Azzawi

تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة/ قسم أصول الدين/ سامراء

teaching at Al-Imam- Al-Azam University College,
Department of Fundamentals of Religion / Samarra

junaidsa@imamaladham.edu.iq

الملخص

يتلخص البحث في النقاط الآتية:

١. يعد الجنيد البغدادي مِن الطبقة العليا في الحضارة الإسلامية فكراً وسلوكاً وعلماً، ولاسيما في (الأخلاق الإسلامية) فهو له القِدحُ المعلَّى في هذا الجانب المشرق مِن الحضارة الإسلامية.

٢. يهدف البحث إلى إظهار جانبين مِن سيرة الجنيد البغدادي المباركة، وهما: أنواع القيم الأخلاقية عنده، ودورها في رفد وبناء الحضارة الإسلامية؛ وذلك مِن خلال تتبُّع سيرته، وأقواله، وأفعاله، وأحواله، ومنهجه في سلوك طريق رب العالمين، وكذلك منهجه في تربية تلاميذه، وغير ذلك مِن الأمور.

٣. توصَّلنا في بحثنا إلى نتائج قيِّمة؛ منها: أنَّ منهج الجنيد البغدادي؛ مبني على الوحي الإلهي المتمثل بـ(القرآن الكريم) و(السنة النبوية المطهرة)، وقد ركَّز على القيم العالية؛ التي تبني الإنسان بناءً صحيحاً، والتي تنفعه في الدنيا، وتوصله إلى طريق الحق ﷻ؛ كالصدق، والصبر، والإخلاص، والمحبة. ولقد أثَّرت القيم الأخلاقية التي أكَّد عليها على أبناء جيله، وعلى جميع الأجيال التي تَلَتْهُ، ولاتزال الأجيال تنهلُ مِن نَبْعِها الصافي، فمنهم مَن أسلمَ، ومنهم مَن اهتدى، ومنهم مَن استطاع النهوض بنفسه، وكلُّ ذلك بفضل بركة الجنيد البغدادي بعدَ فضل الله ﷻ.

الكلمات المفتاحية: (الجنيد، القيم، الأخلاق، الفكر، المجتمع)

Abstract

The research can be summarized in the following:

Points: After Al-Junaid Al-Baghdadi, he is among the highest class in Islamic civilization in terms of thought, behavior, knowledge, and succession, especially in Islamic ethics. He has a significant reputation in this bright side of Islamic civilization.

The research aims to show two aspects of the blessed biography of Al-Junaid Al-Baghdadi, namely: types of values.

His morals, and their role in supporting and building Islamic civilization, by tracing his biography.

And his words and deeds, and his conditions, and his approach to following the path of the Lord of the worlds, as well as his approach to raising. His students and other things. In our research, we reached valuable results, including that Al-Junaid Al-Baghdadis approach is based on revelation.

God represented by (the Holy Quran and the purified Sunnah of the prophet), and it focused on high values which builds a person in a sound Manner, which benefits him in this world, and leads him to the path of truth.

Such as honesty, patience, sincerity, and the moral values that he was taught influenced me the people of his generation, and ower all three generations, and the mountains continue to draw from their pure support, so from them some of them converted to Islam, some of them were guided, some of them were able to rise up on their own, and all of them are blessed Al-Junaid Al-Baghdadi, ice after fadlallah.

,Thought) Keywords: (Al Junaid, values ,morality, thought ,society

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ البحث في تاريخنا الإسلامي يضفي علينا دروساً جميلة وحِكَماً جليلةً؛ تنير طريقنا، وتفتح لنا آفاق نهضتنا المرتقبة نحو التقدم والازدهار، إذ بتأمُّلنا الدائم في تاريخنا الإسلامي الحافل بالإنجازات لاسيما بقراءتنا الفاحصة لِسِيَر أولئك الرجال الذين حملوا لواء الإسلام، ونشر دعوته في الآفاق بكلِّ صدقٍ وإخلاص، وبكل الأساليب والوسائل النبيلة المتاحة لهم؛ نستطيع أنْ نستشرف آفاق المستقبل -إنْ شاء الله تعالى-.

إنّ الشيخ الجنيد البغدادي هو أحد أولئك الأفذاذ الذين فهموا الدين حقَّ فَهْمِه، وطبَّقوه كنموذجٍ حيٍّ على أرض الواقع؛ فكانت النتائج مذهلةً حقّاً على أرض الواقع، وهي واضحة عياناً لطلَّاب الحقيقة، وكما سنعرفه مِن خلال هذا البحث المتواضع.

❖ أهمية الموضوع وسبب اختياري له:

إنّنا اليوم بحاجة إلى قراءة تاريخنا على الوجه الصحيح؛ وذلك لأنَّنا نعيش في فترةٍ حرجةٍ؛ نتيجة إفرازات المراحل المتأخرة مِن تاريخنا الإسلامي؛ والتي حاد فيها الكثير مِن المسلمين عن الصواب، فهُمْ -مع الأسف- لم يقرأوا تاريخنا قراءةً دقيقة؛ فانهمكوا في القشور دون اللباب؛ فحصل ما حصل مِن انتكاسٍ لحضارتنا الإسلامية لا يخفى على القاصي والداني.

❖ الدراسات السابقة في الموضوع:

حظي الإمام الجنيد البغدادي بعناية واسعةٍ من قبل الباحثين قديماً وحديثاً، فكُتُبُ التراجم مليئة بمناقبه-رحمه الله تعالى-، فضلاً عن الكتب التي أُفرِدت في دراسة حياته وآثاره؛ والتي منها:

١. الإمام الجنيد سيد الطائفتين-قدس الله سرَّه العزيز- مشايخه أقرانه تلامذته أقواله كتبه رسائلُه: للشيخ أحمد فريد المزيدي.

٢. التصوف على طريقة الجنيد السالك، للدكتور إسماعيل راضي، ضمن سلسلة دروس علمية بعنوان: (مبادئ التصوف وهوادي التعرف)، في الرابطة المحمدية للعلماء- جمهورية المغرب، منشورة في منصة الرائد الالكترونية.

❖ هدف البحث:

يهدف البحث إلى أهداف عدَّة؛ أهمها:

١. إظهار القيم الأخلاقية الإسلامية؛ التي سار عليها المسلمون الأوائل، ونتجت عن فكرهم المستنير بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة، ولاسيما سيدنا الجنيد البغدادي.

٢. إظهار جانب مهم مِن مقومات نهوض الحضارة الإسلامية التي أسهمت في نهوض الشعوب وتطوُّرِها وتقدُّمِها، ألا وهو الجانب الأخلاقي الذي يشكِّل عاملاً مهماً في حياة الأمم، وتقدُّمِها، وبه تستطيع التعايش فيما بينها.

❖ منهج البحث:

يسعى البحث إلى إظهار القيم الأخلاقية في فكر الإمام الجنيد البغدادي مِن خلال تتبُّع سيرته المباركة، ومنهجه في سلوك طريق ربِّ العالمين، وكذلك منهجه في تربية تلاميذه، وغير ذلك مِن الأمور. وبناءً على هذا نستطيع القول: إنَّ المنهج الذي نسير عليه في البحث هو:

١. المنهج الوصفي: الذي يصف أفكار سيدنا الجنيد-رحمه الله تعالى-.

٢. والمنهج التحليلي: الذي يحلل أفكاره وآراءه ومواقفه، ويستنتج منها (القيم الأخلاقية التي نتجت عن فكر الإمام الجنيد-رحمه الله تعالى-، ومدى تأثيرها على المجتمعات المسلمة.

❖ خطة البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، وقد مرَّت، وثلاثة مباحث، وهي بحسب الآتي:

- المبحث الأول: التعريف بمحددات العنوان. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القيم الأخلاقية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح.

- المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في فكر الإمام الجنيد البغدادي. وفيه مدخل، ومطلبان:

المطلب الأول: طبيعة القيم الأخلاقية في فكر الجنيد البغدادي وأصنافها.

المطلب الثاني: نماذج مختارة من القيم الأخلاقية في فكر الجنيد البغدادي.

- المبحث الثالث: أثر القيم الأخلاقية في فكر الإمام الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم. وفيه مدخل، ومطلبان:

المطلب الأول: جوانب تأثير الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: نماذج من شواهد وأمثلة لتأثير الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم.

نسأل الله ﷻ أنْ يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علَّمنا إنّه على كلِّ شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير، نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المبحث الأول
التعريف بمحددات العنوان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القيم الأخلاقية في اللغة والاصطلاح

❖ القيم لغةً:

جمع (قيمة)، وهي صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت، وهي تدلُّ على معانٍ عدَّة، منها:

١. الشيء المستقيم، قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[سورة البينة، الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[سورة البينة، الآية ٥]، يعني: ديانة مستقيمة معتدلة، والدِّيانة القيِّمة؛ يعني: المستقيمة.

٢. الشيء النفيس ذو القيمة العالية، يقال: كتابٌ قيِّمٌ، يعني: نفيسٌ، قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[سورة البينة، الآية ٣][(١)].

❖ القيم اصطلاحاً:

الانشغال بـ(القيم) ليس موضوعاً جديداً، بل يعود إلى حقب قديمة جداً، وإنْ كانوا لم يسمُّوه باسمه؛

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، ٣/ ١٨٧٨، مادة (قوم)

بل أطلق اليونانيون- مثلاً- عليه لفظ (الخير) أحياناً، و(الكمال)، و(الحق)، و(الجمال)، وغير ذلك؛ وبهذا نجد كل الديانات السماوية والحضارات والثقافات قائمة على (القيم) في الأساس، وقد حظيت دراسة القيم الإنسانية بقدر كبير مِن الاهتمام مِن طرف الدارسين على مرِّ السنين؛ نظراً لاعتقاد مفاده: أنَّ القيم جزء لا يتجزأ مِن مفهوم الذات، وهي مِن المحددات الأولية للسلوك الإنساني؛ لأنَّها تعمل كقواعد أو كمعايير سلوك، ويرى كثير من الباحثين: أنَّ مصدر القيم ليس المجتمع، ولا الأفراد، وإنما الدين، وأنَّ كلَّ نسق قيمي للدين، أو الأخلاق؛ لا يمكن أنْ يستمد أصوله وجذوره مِن اعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية، وإنَّما يستمد تلك الجذور مِن مصادر دينية بحتة(١).

وبناءً على هذا فقد عرَّفه عزي عبد الرحمن بقوله: (والقيمة: ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم، وإنَّما أداة يمكن أنْ تتجسد فيه القيم)(٢).

إن هذا التعريف لا يمكن أنْ تحمل القيم في طيَّاتها جانباً سلبياً مقابل جوانبها الإيجابية، إذ طالما أنَّنا حدَّدنا أنَّها نابعة مِن الدين، فهذا يعني: أنَّها إيجابية بحتة.

وتوسَّع السيد الشحَّات أحمد حسن في هذا المفهوم، فعرَّفها بقوله: (القيمة: حكم يصدره الإنسان على شيءٍ ما مهتدياً بمجموعة مِن المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه، والمرغوب عنه مِن السلوك)(٣).

وهو بهذا فقد أدخل القيم التي استنبطها أهل العلم مِن تعاليم الدين، ويجب أنْ تكون موافقه لقواعده وضوابطه المنصوص عليها في الدين، وهو التعريف الذي نزعم بأنَّه الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

وهناك تعريفات تمثل وجهة نظر أخرى غير التي ذكرنا، وهي أنَّ القيم تمثِّلُ: (مجموعة من الفلسفات، والمعتقدات، والافتراضات، والمبادئ، والتوقعات، والاجتهادات، وقواعد السلوك؛ التي تربط أيَّ مجتمع في وحدة متماسكة)(٤).

---

(١) ينظر: أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب- دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، السعيد بو معيزه، ص ١٤٠- وما بعدها؛ والقيم والعادات الاجتماعية، فوزيه دياب، ص ١٥؛ وقيم النخبة الإدارية وعلاقتها بالتسيير الاستراتيجي- دراسة ميدانية بالمؤسسة الوطنية للحديد والفوسفات بتبسة، لمنير صوالحة، ص ١٤.

(٢) الثقافة وحتمية الاتصال- نظرة قيمية، عزي عبد الرحمن، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩٥)، ص ١٥.

(٣) الصراع القيمي لدى الشباب، للسيد أحمد حسن الشحات، ص ٦٨.

(٤) بعض مؤشرات التحفيز للعمل وعلاقتها بقيم العمل- دراسة استطلاعية في الثقافة والتسيير، لعبد الحفيظ مقدم، ص ١٩٧- وما بعدها.

وعلى وفق هذا التعريف تكون القيم عبارة عمَّا يتوصل إليه أيُّ مجتمعٍ مِن الاجتهادات الفلسفية، أو الاعتقادية، أو غير ذلك، وليس بالضرورة أنْ تكون نابعة من الدين.

وهذا ما أيده أحمد أمين في كتابه (الأخلاق) بقوله: (أهم عامل في تكوُّن (المُثُل): المنزل، والمدرسة، والدين، فتربية الناشئ المنزلية، وما يسمعه مِن أبويه، والنظام الذي يسير عليه بيتُه وما يراه في المدرسة، وما يسمعه مِن مدرِّسِيه، وما يلزمونه بقراءته مِن الكتب، وما يحببونه إليه مِن عظماء الرجال، والدين الذي يتديَّن به، وما يحويه مِن نظام، وما يرسمه مِن شكل الحياة الأخرى، كل ذلك له أكبر الأثر في تكوين المُثُل الأعلى، وكذلك غرائز الإنسان الطبيعية لها أثر كبير في انتخاب الصورة التي تتخذ مُثُلاً، فالميول الموروثة مِن شجاعة وهِمَّة، أو جبن وخمول؛ تُعِيْنُ على تحديد المُثُل الأعلى، وهى عامل قوي في تكوينه)[1].

وعرَّفها الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد بأنَّها: (هي كل صفة ذات أهمية، لاعتبارات نفسية أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو جمالية، وتتسم بسمة الجماعية في الاستخدام)، وقال: (هي موجهات السلوك أو العمل)[2].

وبمثله ما جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة): بأنَّها: (الفضائل الدِّينيّة، والخُلقيّة، والاجتماعيّة، التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ. وعلمُ القيم في الفلسفة: علمٌ يشملُ القيم، أو الفضائل، وبوجه خاصّ القيم الأخلاقيّة)[3].

❖ الفرق بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية لمفهوم القيم:

إنَّ المتأمل في موضوع (القيم) ليرى أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين نظر العالَم الغربي إلى مفهومها، وبين النظرة الإسلامية:

فالعالَم الغربي- ولاسيما الحديث- يرى أنَّ القيم بصورة عامة: هي مِن نتاج المجتمع، والخبرات التي تكون بين أفراده، فهي تتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية؛ تتم مِن خلال التفاعل الذي يكون بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، وكذلك بين الأفراد، وكل ما في البيئة؛ التي تحيط بهم، بحيث يصطلح أولئك على قيم معيَّنة؛ لتنظيم العلاقات فيما بينهم[4].

(١) الأخلاق، أحمد أمين، ص ٨٣.
(٢) مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي، الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد، ١/ ٣٧٥.
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، ٣/ ١٨٧٨، مادة (قوم)
(٤) ينظر: القيم في المسلسلات التلفازية- دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعيِّنة من المسلسلات التلفازية العربية، مساعد عبد الله المحيّا، ص ٦٠- ٦١.

أمَّا النظرة الصحيحة فهي مبنية على وفق معطيات الأصول الأساسية للمعرفة، وأهمها:

١. الوحي الإلهي (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة)

٢. الفكر الإسلامي المستمد مِن الوحي الإلهي وفق القواعد العلمية المبنية على المنطق الصحيح المطابق للواقع.

٣. الواقع المشاهَد المحسوس.

ويرى الأستاذ محمد عبد الله دراز: أنَّ القيم لا تشمل فقط القيم الإيجابية، بل يؤكِّد أنَّنا سنصادف سلَّماً مِن القيم الإيجابية والسلبية، رتبت بعلم، وتنوعت في وفرة، كما يؤكد أنَّ القيم الإيجابية على قسمين[١]:

١. منها ما هو إلزامي: يجب أنْ يلتزم بعمله كل مسلم إذا ما تحقَّق فيه شروط ذلك العمل.

٢. ومنها ما هو مرغوب فيه: وهذا هو المندوب الذي يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه، والقرآن الكريم يفتح الطريق في كل مجال إلى مشاركة أكبر، فهو يحث كل إنسان على أنْ لا يقنع بالقسم الأول، ويكتفي بتلك المرحلة التي يشترك فيها جميع المسلمين، وإنَّما يدعو دائماً إلى أنْ يرتفع دائماً إلى درجات أكثر جدارة.

المطلب الثاني: (تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح)

- أولاً: تعريف الفكر لغةً واصطلاحاً:

الفكر لغةً: مصدر فكَّر فِي الشَّيْء، وأفكر، وتفكَّر. وَرجلٌ فِكِّير، وفَيْكَر: كثير الفِكْر، والفِكْرةُ والفِكْر واحد[٢].

فالفكر: هو اسم التفكُّر، والتفكُّر معناه: التأمل[٣]، والفكر يحتمل معنيين:

الأول: قد يراد به المعنى المصدري، وهو حركة العقل، أي: التفكير، قال ابن فارس في تعريفه: (تَرَدُّدُ الْقَلْبِ فِي الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: تَفَكَّر، إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِراً)[٤].

وأمَّا المعنى الآخر: فقد يرُاد به المعنى الحاصل بالمصدر، وهو القضايا الناتجة عن هذه الحركة وغيرها،

(١) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن- دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، ص ٨٧- وما بعدها.

(٢) ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت، ١٧٠هـ)، ٥/ ٣٥٨، مادة (فكر)؛ ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٤/ ٤٤٦، مادة (فكر)؛ والمحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت، ٤٥٨هـ) ٧/ ٧، مادة (فكر).

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي، ٥/ ٣٥٨، مادة (فكر)؛ ولسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٢١١، مادة (فكر).

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٤/ ٤٤٦، مادة (فكر)؛ والصحاح تاج اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت، ٣٩٣هـ) ٢/ ٧٣٨، مادة (فكر).

وبهذا المعنى يكون الفكر نتاجاً للتفكُّر[١].

الفكر اصطلاحاً: اختلف الباحثون في تعريفه؛ فالمناطقة قرَّروا أنَّ الفكر هو: (ترتيب أُمورٍ معلومة للتأدِّي إلى مجهول؛ كترتيب الصغرى، والكبرى؛ ليتوصَّل به إلى معرفة النتيجة التي كانت مجهولة)[٢].

إنَّ هذا التعريف الاصطلاحي للـ(الفكر) الذي قرَّره المناطقة؛ لم يكن وحده المطروح، إذ قد شهد هذا المصطلح تعريفات عدَّة؛ نذكر منها ما عرَّفه بعض الباحثين بأنَّه: (المحصلة النهائية للمعطيات التي يدركها العقل الإنساني بالحواس، أو الاستنباط، باعتبار العقل هو مركز تقويم، وبلورة كافة المعطيات في إطار ما ترسَّخ لديه مِن القيم، والعلوم، والمعارف، والخبرات المكتسبة)[٣]، فهو بهذا المعنى يكون قريباً مِن المعنى اللغوي الثاني، وهو أنَّ المراد بالفكر: المعنى الحاصل بالمصدر؛ أي: القضايا الناتجة عن حركة العقل، وغيرها، وهو القريب مِن هذا المصطلح، والله أعلم.أ

- ثانياً: مفهوم مصطلح الفكر الإسلامي:

عرَّفه الباحثون بتعريفات عدَّة؛ ولكن نكتفي في تعريفه باعتباره مركَّباً وصفياً بتعريف الدكتور محسن عبد الحميد له بأنَّه: (كلُّ ما أَنتج فكرُ المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله ﷻ، والعالَم، والإنسان، والذي يعبِّر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدةً وشريعةً وسلوكاً)[٤].

كما يمكن اختصاره بأنَّه: (كلُّ ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم مضبوطاً بالضوابط الإسلامية)[٥].

(١) ينظر: تأمين الفكر الإسلامي، عطية صقر، (موضوع فتوى) موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصرية، رقم الموضوع (٨٣).
(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٢١٧.
(٣) استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، ص ٦.
(٤) الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبد الحميد، ص٧.
(٥) ينظر: المشروع الحضاري الإسلامي- الجانب الفكري أنموذجاً- بين القدرات والعقبات، جنيد ساجد جهاد، ص ٣٢.

المبحث الثاني
(القيم الأخلاقية في فكر الإمام الجنيد البغدادي مدخل)

إنَّ الإسلام عبارة عن: عقيدة، وشريعة، وأخلاق، وممَّا تميَّز به الإسلام أنَّ العقيدة، والشريعة لا ينفصلان عن الأخلاق بحالٍ مِن الأحوال، وعلى هذا النحو نستطيع القول: إنَّ الإسلام عبارة عن: عقيدة، وشريعة؛ قد بُنِيا على أخلاق، وذلك مصداق لقوله ﷺ: «إنَّما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق»(١)؛ ولهذا تشكِّل القيم الأخلاقية عاملاً رئيساً في بناء الحضارات؛ إذ بها تُخَلَّد الحضارات، وتؤدي رسالتها في إسعاد الإنسانية، وإبعادها عن المخاوف والآلام، ولقد سبقت حضارةُ الإسلام كلَّ الحضارات السابقة واللاحقة في هذا الميدان، وبلغت فيه شأواً لا نظير له في أيِّ عصرٍ مِن عصور التاريخ، وحسب حضارتنا بهذا خلوداً حين قرَّبت الإنسان مِن ذروة السعادة، وعملت له ما لم تعمله حضارة في الشرق أو في الغرب(٢).

يقول الأستاذ مقداد يالجن: (منذ أنْ اتجهتُ بفكري نحو بناء خير حضارة أخرجت للناس، وبعد أنْ حدَّدتُ عناصر هذه الحضارة الأساسية؛ رأيتُ أنَّه لا يمكن إقامة هذه الحضارة إلَّا ببناء مجتمع خيِّر أولاً، ثمَّ لَمَّا فكَّرتُ في بناء مثل هذا المجتمع؛ رأيتُ أنَّه لا يمكنُ بناؤهُ إلَّا ببناء أفراد هذا المجتمع بناءً خيِّراً؛ لأنَّ الأفرادَ لَبِنَاتُ المجتمع، ومنهم يتكوَّنُ المجتمع، فإذا كانوا أخياراً؛ كان المجتمع خيِّراً مثلهم، ومِن ثَمَّ كانت حضارتُهُم خيِّرةً أيضاً)(٣).

المطلب الأول: (طبيعة القيم الأخلاقية عند الجنيد البغدادي وأصنافها)

إنَّ الناظر في فكر الجنيد البغدادي ليجد أنَّه قد بنى أسس أفكاره جميعاً-ولا سيما أفكاره التي تختص بجانب (القيم الأخلاقية) على أصول وثوابت الشرع الحنيف، معضَّدةً بالفكر المستنير، والعقل الموضوعي المبني على أسس المنطق المستقيم، والشواهد الحاضرة؛ ولهذا أصبح المرجع الذي يُعَوَّلُ عليه في العلوم الدنيوية والأخروية، ولاسيما علوم سلوك الطريق الموصل إلى الله ﷻ المعبَّر عنه بـ(علم الأخلاق) الذي يدخل في الركن الثالث مِن أركان الدين الإسلامي ألا وهو (ركن الإحسان) الذي يأتي بعد ركنَي:

(١) ينظر: الأخلاق وبقاء الحضارات، لمحمود الشال، مقال الكتروني في موقع الألوكة، بتاريخ (١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م)، عنوان الرابط،
https،//www.alukah.net

(٢) مقومات الحضارة في القرآن والسنة، د. عبد الله راجح، مقال في مجلة الأزهر، في (صفر ١٤٣٧هـ- نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٥م).

(٣) دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، د. مقداد يالجن، ص ٥.

(الإسلام) و(الإيمان)، فهو فارسُ هذا الميدان، وأحد كبار المراجع فيه بعد الوحي الإلهي، والسبب في ذلك يرجع إلى طبيعة منهجه وتوجهه الفكري؛ الذي قلَّ نظيرُه بما يحمله مِن امتيازات عُلْيَا؛ يمكن أنْ نذكر بعضاً منها في الآتي:

- أولاً: الاستقاء مِن القيم الرفيعة للدين الإسلامي، ولشخصية الرسول ﷺ ولرموز الأمة مِن الآل والأصحاب والتابعين لهم بإحسان:

وهذا الجانب واضحٌ في جميع أقواله وأفعاله بل وحتى أحواله، كما سنعرفه في هذا المبحث والمبحث الثالث؛ ولهذا تواترت الروايات عن تلخيصه لمنهجه، بترديده دائماً مقولة: (عِلْمُنا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، مَن لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه؛ لا يُقْتَدَى بِهِ)[1]، فهو يرى أنَّ القيم الأخلاقية هي: (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة)[2]، وقال: (الطرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخَلْقِ إلَّا مَن اقتفى أثَرَ الرسول ﷺ، واتَّبَعَ سُنَّتَهُ، ولزم طريقته؛ فإنَّ طُرُقَ الخيراتِ كلَّها مفتوحةٌ عليه)[3].

- ثانياً: تميُّزه عن غيره مِن الباحثين في نظره حول التربية الأخلاقية: فبعض الباحثين يرى: أنَّ التربية الأخلاقية هي الاعتياد على ممارسة المبادئ الأخلاقية زمناً طويلاً؛ حتى تصبح عادةً، وبعضهم يرى: أنَّها تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء بها؛ يستطيع التمييز بين سلوكَي الخير والشر، وبعضهم يرى: أنَّها تلقين المبادئ الأخلاقية بأساليب آمرية، وتحذيرات خطابية[4].

أمَّا الجنيد؛ فنجده يرى أنَّ الأخلاق هي فوق ذلك كلِّه: فهي تطهير النفس مِن كل الرذائل والنوازع الشريرة، وتحليتها بجميع الفضائل الأخلاقية ظاهراً وباطناً، فهي عنده مراحل ثلاثة:

الأولى: التخلي عن جميع الرذائل ظاهراً وباطناً.

الثانية: التحلي بجميع الفضائل ظاهراً وباطناً.

الثالثة: مرحلة الشهود والثبات في حضرة الله ﷻ.

وفي هذا يقول- رحمه الله-: عندما (سئل الجنيد عن التصوف ما هو؟ فقال: اجتناب كل خُلق دني،

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٢٥.
(٣) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٢؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٣.
(٤) ينظر: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، د. مقداد يالجن، ص ١٤- ١٥.

واستعمال كل خلق سَني، وأنْ تعمل لله، ثمَّ لا ترى أنَّك عملت)[1].

- ثالثاً: المداومة على العلم: وفي هذا يقول: (ما أخرج اللهَّ إِلَى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلَّا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً)[2]، وهذا التبحُّر في العلم دعاه لأنْ يميِّزَ العلوم والمعارف والقيم، ويعرِف أنفعها في الدنيا والآخرة، ودعاه-أيضاً- إلى أنْ يصل إلى مرتبة عالية مِن معرفة التعامل مع الناس، وطريقة توصيل العلوم إلى أذهانهم مِن دون شطحٍ، ولا تكلُّفٍ، ولا تعقيد في العبارات.
- رابعاً: المداومة على العبادة: فعن جعفر الخلدي قال: (بلغني عَنْ أَبِي القاسم الجنيد أَنَّهُ كان فِي سُوْقِه، وكان ورده فِي كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة، وكان يقول-لنا-: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ للهَّ عِلْمًا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ مَعَ أَصْحَابِنَا وَإِخْوَانِنَا؛ لَسَعَيْتُ إِلَيْهِ وَقَصَدْتُهُ)[3].
- خامساً: الالتزام بالوحي الإلهي كمصدر أساس لفكره ولمنهجه: فلكي لا يقع في شباك الزيغ والانحراف؛ نبعتْ أفكارُه وآراؤه مِن الوحي الإلهي، وفي هذا كان دائماً يقول: (عِلْمُنا مضبوطٌ بالكتاب والسنَّة، مَن لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه؛ لا يقتدى به...، عِلْمُنا- يعني: التصوف- مشبَّكٌ بحديث رسول الله)[4]، وكان يقول: (تفقَّهْتُ على مذهب أصحاب الحديث؛ كأبي عبيد، وأبي ثور، وصحبتُ الحارثَ المحاسبي، وسري بن المغلس-رحمة الله عليهم-؛ وذلك كان سببَ فلاحِي، إذ عِلْمُنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسُّنَّة، ومَن لم يحفظ القرآنَ، ويكتب الحديث، ويتفقَّه قبل سلوكِه؛ فإنَّه لا يجوزُ الاقتداءُ به)[5].
- سادساً: القيم التي أكَّد عليها الجنيد البغدادي؛ لا تمثِّل طائفة مِن المسلمين على حساب الطوائف الأخرى: إذ هي قيمٌ أخلاقية مستمدَّةٌ مِن النبع الصافي للحضارة الإسلامية ألا وهو الوحي الإلهي، فهي نقيةٌ؛ تتقبَّلُها العقول، وتطرب إليها الأرواح والقلوب، وتسعى النفوسُ إلى تطبيقها؛ لبناءَ الشخصية القويَّة، ولتسعد في الدنيا والآخرة.
- سابعاً: القيم التي حثَّ عليها الجنيد البغدادي تجمع بين الروح والمادة في تناسق وتناغم واتزان: وفي كلا الجانبين يجب أنْ يكون رضا الله ﷻ موجوداً في تلك القيم التي يدعو إليها الجنيد، وهذا الأمر هو

(١) تاج العارفين الجنيد البغدادي- الأعمال الكاملة للجنيد البغدادي، ص ١٥١.
(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ٨/ ١٦٨.
(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١٤/ ٦٧.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٧٣-٢٧٤.

الذي يمثِّلُ الوجهة العامة للحضارة الإسلامية، وهو ما يميِّزُها عن بقية الحضارات، فالحضارة الغربية القديمة مثلاً طابعها روحي، والأمم الغربية اليوم تحمل طابع المادية المجردة مِن الروح الأخلاقية الفاضلة، والقيم الأصيلة التي تدعو إليها الأديان السماوية، وتستجيب لها الطباع البشرية، ولكن ما يميِّزُ حضارتنا الإسلامية هو الجمع بين الروح والمادة، في توافق واتزان، وفي هذا المعنى يقول الجنيد–رحمه الله تعالى– حينما سُئل: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: توبة تحلُّ الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب[1].

المطلب الثاني: (نماذج مختارة من القيم الأخلاقية في فكر الجنيد البغدادي)

لقد تحدثنا في المبحث الأول عن المنزلة العالية التي حظي بها الجنيد البغدادي في الأُمة الإسلامية منذ نشأتها وإلى يومنا هذا؛ وذلك لِما توافرت فيه مِن صفات ومزايا؛ تؤهِّلُه لأنْ يكون في قمَّة العلماء والأولياء والدعاة إلى طريق الحق ﷻ، وذكرنا أهمَّ المزايا التي تميَّز بها، وقد أينعت جهوده العلمية وأثمرت، وآتتْ أُكُلَها في جميع الميادين، فنجده قد صنع جيلاً مِن الرجال الذين يحملون كل المعاني السامية، والقيم النبيلة، وكذلك رفْدُهُ للحضارة الإسلامية بالآراء التربوية والتعليمية القيِّمة والبنَّاءة؛ والتي لاتزال الأجيال تنهلُ مِن عَذْبِها الصافي، وثمارها الجَنِيَّة، وبدورنا في هذا البحث أنْ نسلِّط الضوء على أهم (القيم الأخلاقية) التي ركّز عليها في نتاجه الفكري، وأهم آراءه الفكرية فيها، وهي كالآتي:

- أولاً: التثقُّف بأنواع المعارف والعلوم: فقد كان عالماً نحريراً لا يُشَقُّ له غُبار، روي عنه في هذا المجال أنَّه سمع الحديث عن الكثير مِن الشيوخ، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورزق مِن الذكاء وصواب الجوابات فِي فنون العلم ما لم يُرَ فِي زمانِه مِثلَه عند أحدٍ مِن قرنائه، ولا ممَّن أرفع سِنّاً منه ممَّن كان ينسب منهم إِلَى العلم الباطن والعلم الظاهر، فِي عفاف وعزوف عَنِ الدنيا وأبنائها؛ حتى أنَّه قال: كنتُ أفتي فِي حلقة أَبِي ثور الكلبي الفقيه وَلِي عشرون سنةً[2].
- ثانياً: الرسوخ في علم الحقائق: ومِمَّا يميِّز فكره أنَّه وظَّف علم الحقائق الذي وهبه الله ﷻ له في كونه قمة في الأخلاق، عن فارس البغدادي، أنَّ الجنيد كان يقول: كنتُ إذا سُئلتُ عَنْ مسألة فِي الحقيقة لم يكن لي–يعني: فيها– منازلة؛ أقولُ: قفوا عليَّ. قَالَ فارس: فكان يدخل؛ فيعاملُ اللهَ بها، ثُمَّ يخرجُ، ويتكلَّمُ فِي عِلْمِها[3]، بمعنى: أنَّه لم يتكلَّم في مسألة ولاسيما في علم الحقائق إلَّا بعد مناجاة الله ﷻ، والتفكُّر فيها،

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٤.
(٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ٨/ ١٦٨.

والاستخارة، وغير ذلك مِمَّا يعين على حلِّ المسألة، وكم نحتاجُ إلى هذه القيم الرفيعة في زماننا؛ الذي أصبح فيه كثيرٌ ممَّن يرى رؤيا في المنام، ويستيقظ معلناً مشيخته على الناس، فيفتي كيف ما يحلو له.

ومِن القيم الرفيعة للجنيد في هذا المجال أنَّه حضر موضعاً فيه قومٌ يتواجدون على سماع؛ يسمعونه، وهو مُطْرِقٌ، فقيل له: أبا القاسم، ما نراك تتحرك؟! فقال: ﴿وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جامدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السحابِ صُنْعَ الله﴾[1][2].

وذكرَ رجلٌ أهلَ المعرفة بحضرة الجنيد، فقال: أهلُ المعرفة بالله يَصِلُون إلى ترك الحركات مِن باب البر، والتقرب إلى الله تعالى. فقال الجنيد: إنَّ هذا قولُ قومٍ تكلَّمُوا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمةٌ، والذي يسرقُ ويزني أحسنُ حالاً مِن الذي يقولُ هذا، وإنَّ العارفين بالله أخذوا الأعمالَ عن الله، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألفَ عامٍ لم أنقص مِن أعمال البِرِّ ذرةً إلَّا أنْ يُحالَ بي دونها، وإنَّه لأوْكَدُ في معرفتي، وأقوى في حالي[3]، وروي عنه أنَّه قال: (مَنْ عَرَفَ اللهَ لا يُسَرُّ إلَّا به)[4].

- ثالثاً: العبادة والخوف مِن الله : وفي الأمثلة والشواهد على التزامه بهذا الجانب وآراؤه فيه هذا المجال؛ أنَّه قال: (الخوفُ توقُّع العقوبةِ مع مجاري الأنفاس)[5]، وكان يجيء كلَّ يومٍ إلى السوق؛ فيفتحُ بابَ حانوتِه، فيدخله، ويسبل السترَ، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يرجع إلى بيته، وكان يقول: ما نزعتُ ثوبي للفراش منذ أربعين سنة. وقيل له: ممَّن استفدتَ هذا العلم؟ قال: مِن جلوسي بين يدى الله-تعالى- ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة. وأومأ إلى دِرجة في داره. ولَمَّا حضرته الوفاة؛ كان قاعداً يصلي، ويُثني رِجْلَه كلَّما أراد أنْ يسجدَ، فلمَّا فرغ مِن صلاته قيل له: لو اضطجعتَ؟ قال: هذا وقتٌ يؤخَذُ منه الله أكبر. فلم يزل كذلك حتى مات[6]، (وقالَ له رجلٌ: أوصني، فقالَ الجنيد: أرضُ القيامةِ كلُّها نار، فانظر أين تكون رِجْلُك)[7]، وكان نقشُ خاتم الجنيد مكتوبٌ فيه: إنْ كنتَ تأمَلُهُ، فلا تأمَنْهُ[8]، وهنا تتجلى العَظَمةُ في هذا الجبل الشامخ؛ إذ حتى في خاتمه قد نقش باباً كبيراً مِن القيم الأخلاقية العالية ألا وهو (الخوف مِن الله ﷻ).

(١) سورة النمل، مِن الآية ٨٨.
(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١/ ٣٧٣.
(٣) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٥.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤.
(٦) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦١- ٢٦٢.
(٧) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٨) ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١٤/ ٦٨.

➢ رابعاً: الزهد: قال: (الزهد: خلُوُّ القلب عمَّا خَلَتْ منه اليد، واستصغارُ الدنيا، ومَحْوُ آثارها مِن القلب)[١]، وحينما سئل عن التصوف؟ قال: هو إفراد القديم عن الحَدَثِ، والخروجُ عن الوطن، وقطعُ المَحَابِّ، وتركُ ما عَلِمَ أو جَهِلَ، وأنْ يكونَ المرءُ زاهداً فيما عند الله، راغباً فيما لله عنده، فإذا كان كذلك؛ حظاه إلى كشف العلوم، والعبارة عن الوجوه، وعلم السرائر، وفقه الأرواح، ما أخذنا التصوُّفَ عن القال والقيل؛ بل عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات؛ لأنَّ التصوف هو صفاءُ المعاملة مع الله –تعالى–، وأصله التعزُّف عن الدنيا، كما قال حارث: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري[٢]، وقال: (نَجَحَ قضاءُ كلِّ حاجةٍ مِن الدنيا تَرْكَهَا)[٣]، وقال: (بُنِي أمرُنا هذا على أربع: لا نتكلم إلَّا عن وجود، ولا نأكل إلَّا عن فاقة، ولا ننام إلَّا عن غَلَبَة، ولا نسكت إلَّا عن خشية)[٤]، وقال: (لا تقومُ بما عليكَ حتى تتركَ ما لكَ، ولا يقوى على ذلك إلَّا نبي أو صدِّيق)[٥]، وقال: (اطراح هذه الأُمَّة مِن المروءة، والاستئناسُ بهم حجابٌ عن الله –تعالى–، والطمعُ فيهم فقرُ الدنيا والآخرة)[٦].

➢ خامساً: الذكر: ومِن كلامِه في الذكر كان يقول: (إنَّ الله–تعالى– يخلصُ إلى القلوبِ مِن برِّه حسب ما خلصتْ القلوبُ بهِ إليهِ مِن ذِكْرِه؛ فانظُر ماذا خالطَ قلبُك)[٧]. و(كتب الجنيد إلى بعض إخوانه يقول: مَن أشار إلى الله، وسكنَ إلى غيرِه؛ ابتلاه الله–تعالى–، وحجبَ ذِكْرَه عن قلبِه، وأجراه على لسانِه؛ فإنْ انتبه، وانقطع ممَّن سَكَنَ إليه؛ كَشَفَ اللهُ ما به مِن المحن والبلوى، وإنْ دام على سكونِه؛ نزعَ الله–تعالى– مِن قلوب الخلق الرحمةَ عليه، وألبسه لباسَ الطمع؛ فتزدادُ مطالبتُه منهم، مع فقدان الرحمة مِن قلوبهم؛ فتصيرُ حياتُه عجزاً، وموتُه كَمَدَاً، ومعادُهُ أسفاً، ونحن نعوذ بالله مِن السكون إلى غير الله)[٨].

➢ سادساً: المحبة: سُئِل الجنيد عن المحبة؟ فقال: (أنْ تُحِبَّ ما يُحِبُّ اللهُ في عباده، وتكره ما يكره في عباده)[٩]، (وقال رجلٌ للجنيد: على ماذا يتأسف المحبُّ مِن أوقاته؟ قال: على زمانِ بَسْطٍ أورثَ قَبْضاً، أو

(١) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤.
(٢) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣١؛ وسير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١٤/ ٦٩؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٦.
(٣) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٢.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٧٣– ٢٧٤.
(٥) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٢– ١٣٣.
(٦) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٩.
(٧) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٠؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٧.
(٨) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٤.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٣٥؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٧.

زمانِ أُنْسٍ أورثَ وحشةً، ثم أنشأ يقول:

قد كان لي مَشْرَبٌ يصفو برؤيتِكُم ... فكدَّرَتْهُ يدُ الأيامِ حين صفا)[١].

➢ سابعاً: الصحبة: وفي هذا الجانب له أقوال عدَّة؛ نذكر منها: أنَّه سأله أحد تلامذته: مَن أصحبُ بعدَك؟ قال: اصحب بعدي مَن تأمنه سِرَّ الله فيك[٢]، وسأله أحدُهم: مَن أصحب؟ فقال الجنيد: مَن تَقْدِر أنْ تُطْلِعَه على ما يَعْلَمُه اللهُ منك. وسئل مرة أخرى: مَن أصحب؟ فقال الجنيد: مَن يَقْدِر أنْ ينسى ما لَهُ، ويقضي ما عليه)[٣]، وقال: (لمروءةُ احتمالُ زَلَلِ الإخوان)[٤]، وقال: (إذا لقيتَ الفقيرَ فلا تبدأه بالعلم، وابدأه بالرفق؛ فإنَّ العلمَ يُوْحِشُه، والرفقَ يؤنسه. وقال للشبلي: يا أبا بكر إذا وجدتَ مَن يوافِقُكَ على كلمةٍ ممَّا تقول؛ فتمسَّكْ به[٥]، وقال عن صحبة الصالحين: (مَن نظرَ إلى ولي مِن أولياء الله-تعالى- فقبَّلَه، وأكرمَه؛ أكرمَهُ اللهُ على رؤوس الأشهاد)[٦].

➢ ثامناً: التواضع: وعن التواضع قال: (أعلى درجة الكِبْر وشرّها أنْ ترى نفسك، وأدناها ودونها في الشر أنْ تخطر ببالك)[٧]، يعني: نفسُك[٨]، وقال: (التواضع خفض الجناح، ولين الجانب)[٩]، وقال: (لولا أنَّه يُروى أنَّه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم؛ ما تكلَّمْتُ عليكم)[١٠].

➢ تاسعاً: الصمت: يقول الجنيد: (أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب جل جلاله مِن القلب، والقلب إذا عرِيَ مِن الهيبة، عرِيَ مِن الإيمان)[١١]. وعنه قال: (سألتُ الله أنْ لا يعذبني بكلامي؟ وربما وقع في نفسي: أنَّ زعيم القوم أرذلهم)[١٢].

(١) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٥.
(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٧٠.
(٣) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٠.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤.
(٥) ينظر: طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٣٤.
(٧) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٨) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١٤/ ٦٨.
(٩) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤.
(١٠) المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٣.
(١١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١٤/ ٦٨-٦٩.
(١٢) المصدر نفسه، ١٤/ ٦٨-٦٩.

➢ عاشراً: الصدق: قال الجنيد: (مَن خالفتْ إشارَتُه معاملَتَه، فهو مُدَّعٍ كذابٌ)[١]، وقال: (لا تكون مِن الصادقين أو تصدق مكاناً لا ينجيك إلَّا الكذب فيه)[٢]، وقال: (الصادق يتقلَّبُ في اليوم أربعين مرّةً، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة)[٣]، وقال: (لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة، ثم أعرضَ عنه لحظةً؛ كان ما فاته أكثر ممَّا ناله)[٤]، قال السبكي معلِّقاً على هذا الكلام: (والناس يستشكلون هذه الكلمة، ويتطلبون تقريرها، وسألتُ عنها بعض العارفين بالتصوف؟ فقال: معناها يظهر بضرب مثل وهو: أنَّ الغواص إذا غاص في البحر منقِّباً على نفيس الجواهر إلى أنْ قاربَ قراره، وكاد يحظى بمراده؛ أعرضَ، وتركَ؛ كان ما فاته أكثر ممَّا ناله، وكذلك مَن أقبل على الحق ألف ألف سنة، ثم أعرض؛ فتلك اللحظة التي أعرض فيها لو لم يعرض نتيجة عمل ألف ألف سنة، فلمَّا أعرضَ؛ فاتته تلك النتيجة التي هي غاية عمل ألف ألف سنة، فظهر أنَّ ما فاته أكثر ممَّا ناله)[٥].

➢ حادي عشر: الصبر: وله أقوال بديعة في الصبر؛ نذكر منها قوله: (المسِيْرُ مِن الدنيا إلى الآخرة سهلٌ هيِّنٌ على المؤمن، وهجرانُ الخَلْقِ في جنب الحقِّ شديدٌ، والمَسِيْرُ مِن النَّفْسِ إلى الله صعبٌ شديدٌ، والصبرُ مع الله-تعالى- أشدُّ. وقال: الصبرُ تجرُّعُ المرارةِ مِن غير تعبيس)[٦]، وقال: (نهايةُ الصابر في حال الصبرِ حَمْلُ المؤنِ لله؛ حتى تنقضي أوقاتُ المكروه)[٧].

➢ ثاني عشر: الخشوع: قال الجنيد: (الخشوعُ: تذلُّلُ القلوب لعلَّام الغيوب)[٨].

➢ ثالث عشر: اليقين: سئِل الجنيد عن اليقين ما هو؟ فقال: تَرْكُ ما تَرَى لِمَا لا ترى[٩]، وللجنيد تعريفان لليقين، فقال: (اليقينُ: استقرارُ العلمِ الذي لا يتقلَّبُ، ولا يحول، ولا يتغير في القلب. وقال- أيضاً-: اليقينُ: ارتفاعُ الريب في مشهد الغيب)، وقد أورد تاج الدين السبكي هذين التعريفين في (طبقات

(١) المصدر نفسه، ١٤/ ٦٨.
(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٤) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٠؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.
(٦) ()طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٧) المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٠-٢٧١.
(٨) المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٤.
(٩) المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٠.

الشافعية الكبرى) وعلَّق عليها بقوله: (وكلاهما صحيحٌ)[١]، وفي باب اليقين-أيضاً- قال الجنيد: (قد مشى رجالٌ باليقين على الماء، ومَن مات على العطش أفضلُ منهم يقيناً)[٢].

- رابع عشر: الأدب مع الله وحسن العشرة مع الإخوان: لقد ضرب الجنيد البغدادي في هذا المجال أروع الأمثلة، ولا تخلو خطوة مِن خطواته ولا حركة ولا سكون مِن الأدب وحسن العشرة، ولا يسعنا المقام إلَّا بذكر بعض الأمثلة على هذا المجال الرحب، فقد سئل عن مسألةٍ؟ فقال: حتى أسأل معلِّمِي، ثم دخل منزله، وصلَّى ركعتين، وخرج؛ فأجاب عنها[٣]، وقال الجريري: (قدمت مِن مكة فبدأت بالجنيد لكيلا يتعنَّى إليَّ، فسلَّمْتُ عليه، ثم مضيتُ إلى المنزل، فلمَّا صلَّيْتُ الصبحَ في المسجد إذا أنا به خلفي في الصف، فقلتُ: إنَّما جئتك أمس لئلا تتعنَّى، فقال: ذاك فضلُكَ، وهذا حقُّكَ)[٤].
- خامس عشر: التوكل: وفي باب التوكل (سأله جماعةٌ: أنطلب الرزق؟ فقال: إنْ علمتم أيَّ موضعٍ هو؛ فاطلبوه. قالوا: نسأل اللهَ فيه؟ قال: إنْ علمتم أنَّه ينساكم فذكِّروه. فقالوا: أندخل البيتَ ونتوكل؟ فقال: التجربةُ شكٌّ. فقالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحِيْلَةِ)[٥]، قال السبكي بعد أنْ ساق هذه الرواية: (وفي بعض الكتب تنسب هذه الرواية إلى الخوَّاص)[٦].
- سادس عشر: الإخلاص: قال الجنيد: (الإخلاصُ سِرٌّ بين الله وعبدِه، ولا يعلمُه مَلَكٌ؛ فيكتبه، ولا شيطانٌ؛ فيفسدُه، ولا هوىً؛ فيميله)[٧].
- سابع عشر: الحياء: (وسئل عن الحياء؟ فقال: رؤية الآلاء، ورؤيةُ التقصير؛ يتولَّدُ منهما حالةٌ تسمَّى الحياء)[٨]، وقال: (الحياءُ مِن الله ﷻ أزالَ عن قلوبِ أوليائِه سرورَ المِنَّةِ)[٩].
- ثامن عشر: الرضا: قال الشبلي يوماً بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال الجنيد: قولك ذا ضِيْقُ صدرٍ، وهو تركٌ للرضا بالقضاء، والرضا: رفعُ الاختيار[١٠]، وقال الجنيد: (الرضا: ثاني درجات

(١) ٢/ ٢٦٤.
(٢) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٥.
(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٤) المصدر نفسه، ٨/ ١٦٨.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤.
(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٤.
(٧) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٨) المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٩) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٠.
(١٠) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٥.

المعرفة، فمَن رضي؛ صحَّت معرفتُه بالله بدوام رضاه عنه)[1]، وكان مِن دعاءه–رحمه الله تعالى–: (بموضِعِك في قلوبِ العارفين دُلَّنِي على رضاكَ، وأخرج مِن قلبي ما لا ترضاهُ، وأسْكِنْ في قلبي رضاك)[2].

- تاسع عشر: المراقبة: قال الجنيد: (مَن تحقَّقَ في المراقبة؛ خافَ على فَوْتِ حظِّه مِن الله–تعالى–)[3]، وقال: (الغفلةُ عن الله–تعالى– أشدُّ مِن دخول النار)[4]، وسئل الجنيد متى يستوجب العبدُ أنْ يقال له عاقلٌ؟ فأجاب بقوله: سمعتُ سَرِياً يقول: هو أنْ لا يظهر في جوارحه شيءٌ قد ذمَّه مولاه[5].

- عشرون: الشكر: فقد روي عنه أنَّه قال: (كنت بين يدي السري السقطي ألعب، وأنا ابنُ سبع سنين، وبين يديه جماعةٌ؛ يتكلمون فِي الشكر، فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: أنْ لا يُعْصَى اللهُ بنعمه. فقال لي: أخشى أنْ يكون حظُّكَ مِن اللهَّ لسانُك. قال الجنيد: فلاأزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي)[6]، (وعن الجنيد: الشكرُ: أنْ لا ترى نَفْسَكَ أهلاً للنعمة)[7].

المبحث الثالث
(أثر القيم الأخلاقية في فكر الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم)

وفيه مدخل ومطلبان:

مدخل

كثير مِن العلوم كالرياضة، والطبيعة، وتقويم البلدان؛ الغرض منها مقصور على معرفة نظرياتها وقواعدها، أمَّا (علم الأخلاق)؛ فله غرضٌ أسمَى، وهو التأثيرُ في إرادتِنا وهدايتِها، وحملنا على أنْ نشكِّلَ حياتَنا، ونصبغ أعمالنا حتى نحقِّقَ المثل الأعلى للحياة، ونحصل خيرنا وكمالنا، ومنفعة الناس وخيرهم، فهو ينير السبيل أمام الإرادة، ويشجعها على عمل الخير، ويثبطها عن فعل الشر، وهذا ما يتميَّز به سيدنا الجنيد البغدادي؛ حيثُ قضى حياتَه في نشر علم الأخلاق، وإصلاح الناس، وتهذيب نفوسهم على وفق

(١) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٤.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٩.
(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٥.
(٤) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص ١٣٢.
(٥) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٩.
(٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨.
(٧) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٦.

القيم العليا التي حثَّ الإسلامُ عليها[1].

إنَّ الناظر في سيرة الجنيد البغدادي ليجدُ العجب العجاب في قوَّة تأثيره على المجتمع المسلم، بشتى مذاهبه، وطوائفه، وجميع طبقات المجتمع العلمية، والاجتماعية، والثقافية، وغير ذلك، فهو الإمام المُجمَع على إمامته، والمسلَّم له لدى الجميع فِكراً، وعِلماً، وسلوكاً، وحالاً، ومِن أهم الأمور التي كان للجنيد فيها المكانة العالية، والرتبة العظمى هو تركيزه على الجانب الأخلاقي: فكرياً مِن خلال آراءه التي تزخر الكتب الإسلامية بها، ومِن خلال سلوكه لطريق الأخلاق علماً وعملاً وحالاً، وفي المطلبين الآتيين سنتعرف على نبذة مِن قوَّة ومدى تأثير القيم الأخلاقية في فكر الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم:

المطلب الأول: (جوانب تأثير الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم)

ممَّا تقدَّم يتضح-لنا- أنَّ منهج الجنيد البغدادي ولاسيما في (علم الأخلاق) يمتاز بمزايا عدَّة؛ منها: موافقة الشرع في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، وكذلك الاعتدال، والاتزان، وغير ذلك مِن الأمور الإيجابية، فهو يحمل منهجاً؛ عُرفت مدرستُه بمدرسة الأخلاق والسلوك، دون إطلاق القول في الأذواق، والحقائق، والكشوفات، وقد رمز إلى هذا المنحى بـ(منهج الإمام الجنيد)؛ لعدة اعتبارات نُلخِّصُها في الآتي:

- إجماع العلماء على تقدُّم الجنيد في علمَي الشريعة والحقيقة؛ لذلك سمي بـ(سيد الطائفتين.

- انخراط جمهور العلماء والناس على اختلاف مراتبهم في التصوف على منهجه.

- نبذ الإغراق والتحدث في الحقائق؛ التي لا تُدركها العقول، وليس معنى هذا أنَّ (صوفية الأخلاق) لم يكونوا في الذروة من المعرفة بهذه الأذواق والمعاني المصطلح عليها بـ(الحقائق)، بل على العكس مِن ذلك، فإمساكهم عن النطق بهذه الأذواق إنَّما هو لرسوخهم في هذا العلم، ولغَلَبة صحوهِم على سُكْرِهم، وكذلك من باب سد الذرائع، وتفادي افتتان الناس. فقد كان الجُنيد يرى مخاطبة الناس على قدر عقولهم، ويرى بأنَّ (الجواب يكون على قدر السائل لا على قدر المسائل)[2]، وكان يُنكر على من يُفشي الكلام في الأذواق والحقائق، فكان يقول: (إنَّ للعلم ثمناً فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه. قيل له: وما ثمنه؟ قال: وضعُهُ عند مَن يحسنُ حَمْلَه، ولا يضيِّعُه[3]، وفي هذا المعنى بوَّب البخاري أحدَ أبواب صحيحه فقال: (باب مَن خَصَّ بالعلم

(١) الأخلاق، أحمد أمين، ص ٩٠.

(٢) تاج العارفين الجنيد البغدادي- الأعمال الكاملة للجنيد البغدادي، ص ١٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى، للشعراني، ١/ ٧٣.

قوماً دون قوم كراهيةَ أنْ لا يفهموا)، ومنه قول سيدنا علي ﷺ: «حدِّثوا الناسَ بما يعرفون أتريدون أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه»[1]، وقد ظلت غاية التصوف الأولى على منهج الإمام الجنيد، هي التحلي الأمثل بالأخلاق المحمدية، والتسنُّن الأكمل، قولاً وفعلاً وحالاً بسيرة سيد المرسلين ﷺ، فقد سئل الجنيد عن التصوف ما هو؟ فقال: اجتنابُ كلِّ خُلقٍ دَنِي، واستعمالُ كلِّ خُلُقٍ سَنِي، وأنْ تعملَ لله، ثمَّ لا ترى أنَّك عَمِلْتَ[2]، وهذا المنحى الجنيدي هو الذي اختاره كثير مِن المجتمعات الإسلامية في ممارستهم لسلوك طريق (علم الأخلاق)[3].

المطلب الثاني: (نماذج مِن شواهد وأمثلة لتأثير الجنيد البغدادي على المجتمع المسلم)

- أولاً: المساهمة في إعطاء منهج متكامل لسالكي طريق الحق ﷺ: وهذا الجانب لا يحتاجُ إلى شواهد، ولا إلى أمثلة في هذا المقام؛ إذ مَن يقرأ عن أقواله، وأفعاله، وأحواله؛ سيقف أمام موسوعةٍ مِن التربية: الروحية، والقلبية، والعقلية، والاجتماعية، وغير ذلك مِن الجوانب الأساسية في بناء الشخصية المسلمة المتميزة دنيوياً وأخروياً، وقد أطنبنا في الشواهد والأمثلة على هذا الجانب في المطلب الثاني مِن المبحث الثاني مِن هذا البحث، وقد جمعناها في عشرين موضوعاً، ونكتفي بها.
- ثانياً: تأثيره على الفرق المخالفة: ومِن الشواهد والأمثلة في هذا الجانب قول أبي القاسم الكعبي المعتزلي: (رأيتُ لكم شيخاً ببغداد، يقال لهُ: الجنيد بن محمد، ما رأتْ عيناي مثله، كان الكَتَبَةُ يحضرونه لألفاظِه، والفلاسفةُ يحضرونه لدِقَّةِ معانيه، والمتكلِّمين يحضرونه لزمامِ علمِه، وكلامُه بائنٌ عن فَهْمِهم، وعِلْمِهم)[4].
- ثالثاً: تأثيره على طلبته مِن خلال متابعته لهم: فقد روي عن أبي عمرو بن عمرو بن علوان يقول: (خرجتُ يوماً إلى سوق الرَّحْبَة في حاجةٍ، فرأيتُ جنازةً، فتبعتُها؛ لأُصلِّي عليها، ووقفتُ حتى يدفن الميتُ في جملة الناس، فوقعت عيني على امرأة مسفرة مِن غير تعمُّد، فلحَحْتُ بالنظر، واسترجعتُ، واستغفرتُ اللهَّ، وعدتُ إلى منزلي، فقالتْ عجوزٌ لي: يا سيدي مالي أرى وجهك أسود؟ فأخذتُ المِرآة فنظرتُ فإذا وجهي أسود، فرجعت إلى سِرِّيْ أنظرُ مِن أين دُهِيْتُ؟ فذكرتُ النظرةَ؛ فانفردتُ في موضعٍ أستغفرُ اللهَّ، وأسأله الإقالة أربعين يوماً، فخطر في قلبي أنْ زُرْ شيخَكَ الجنيد، فانحدرتُ إلى بغداد، فلمَّا جئتُ الحُجْرَةَ

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب مَن خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أنْ لا يفهموا، ١/ ١٣٢، برقم (١٢٧).
(٢) تاج العارفين الجنيد البغدادي- الأعمال الكاملة للجنيد البغدادي، ص ١٥١.
(٣) ينظر: التصوف على طريقة الجنيد السالك، للدكتور إسماعيل راضي، ص ١-٣.
(٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٠.

التي هو فيها؛ طرقت البابَ، فقالَ لي: أدخلْ يا أبا عمرو، تُذْنِبُ بالرَّحْبَةِ، ونستغفرُ لك ببغداد!)[1].

➢ رابعاً: أثر توجيهه ونصحه للعامة: عن الجنيد قال: (أرقتُ ليلةً، فقمتُ إلى وِرْدِي، فلم أجد ما كنت أجد مِن الحلاوة، فأردتُ النوم؛ فلم أقدِرْ، فأردتُ القعود؛ فلم أطِقْ، ففتحتُ الباب، وخرجتُ فإذا رجلٌ مُلْتَفٌّ في عباءةٍ، مطروحٌ على الطريق، فلمَّا أحسَّ بي؛ رفعَ رأسَه، وقال: يا أبا القاسم إليَّ الساعة. فقلت: يا سيدي مِن غير موعدٍ؟ فقال: بلى؛ سألتُ محرِّكَ القلوبِ أنْ يحرِّكَ لي قلبَكَ. فقلتُ: ما حاجتك؟ فقال: متى يصيرُ داءُ النفس دواها. فقلتُ: إذا خالفتْ هواها؛ صار داؤُها دواها. فأقبلَ على نفسِه؛ فقال: اسمعي؛ قد أجبتُكِ بهذا الجواب سبعَ مراتٍ؛ فأبيتِ إلَّا أنْ تسمعيه مِن الجنيد، فقد سمعتِ. وانصرفَ عنِّي، ولم أعرفه، ولا وقفتُ عليه)[2].

➢ خامساً: تخرُّج العلماء الكبار على يديه: وعن أبي الحسين علي بن إبراهيم الحداد، يقول: (حضرتُ مجلسَ أبي العباس بن سريج، فتكلَّم في الفروع والأصول بكلامٍ حَسَنٍ؛ أُعْجِبْتُ به، فلمَّا رأى إعجابي؛ قال لي: تدري مِن أين هذا؟ قلتُ: يقول القاضي. فقال: هذا بركةُ مجالستِي لأبي القاسم الجنيد بن محمد)[3].

➢ سادساً: أثره في هداية أهل الضلال: قال الجنيد: (قال لي خالي سُرَي السقطي: تكلَّم على الناس. وكان في قلبي حشمةٌ مِن الكلام على الناس، فإنِّي كنتُ أتَّهِمُ نفسِي في استحقاقي ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله ﷺ، وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلَّمْ على الناس، فانتبهتُ، وأتيتُ باب السُرَي قبل أنْ أصبح، فدققتُ الباب؛ فقال لي: لم تصدِّقْنا حتى قيل لك، فقعدت في غد الناس بالجامع، وانتشر في الناس أنَّ الجنيد قعد يتكلَّم على الناس، فوقفَ عليَّ غلام نصراني متنكراً، وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنَّه بنور الله»[4]، فأطرقتُ، ثم رفعتُ رأسي، وقلت: أسلِمْ؛ فقد حانَ وقتُ إسلامِك، فأسلمَ الغلام)[5].

➢ سابعاً: أثره في رفد المكتبة الإسلامية بالآراء الأخلاقية مصحوبة بالعلم والعمل والحال: فقد أسهم الجنيد البغدادي في رفد المكتبة الإسلامية بالقيم الأخلاقية فكراً وعلماً وعملاً وحالاً، فزادت آراؤه مِن رونق

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨؛ وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦١- ٢٦٢.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، ٢/ ٢٦٢- ٢٦٣.
(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ١٦٨؛ ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١/ ٣٧٣.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومِن سورة الحجر، ٥/ ١٤٩، برقم (٣١٢٧)، وقال عنه: (حديثٌ غريب؛ إنَّما نعرفه مِن هذا الوجه).
(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١/ ٣٧٣- ٣٧٤.

الكتب، وأضافت لها قيمةً معنويةً ومادية، وقد نتج عن هذا تأثيرها في سلوك المسلمين على مرِّ الأجيال، فكثيراً ما نسمع ونقرأ مدى تأثيره على مَن يقرأ نصائحه وإرشاداته وتوجيهاته في قلوب الناس؛ الأمر الذي يؤدي إلى تغيير مسيرة حياتهم بالكامل متجهةً نحو الطريق الصحيح الذي هو طريق الحق ﷻ الخالي مِن الأهواء، والمخالفات الشرعية، وغير ذلك مِن الأمور السيئة، ومن الشواهد والأمثلة على هذا أنَّنا نرى جميع كتب السلوك والطريق إلى الله ﷻ قد زيَّنوا كتبهم ومؤلفاتهم بآراءه، ولاسيما حول موضوع (القيم الأخلاقية)، بل نجد أنَّهم يجعلونه كمرجع-بعد الوحي الإلهي- يرجعون إليه في حل الإشكالات حول سلوك الطريق، ومقياسٍ؛ يقيسون به آراءهم وأفكارهم؛ ولهذا نجد الإمام الكلاباذي يضع (الباب الثالث) مِن كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) تحت عنوان: (فيمَن نشر علوم الإشارة كتباً ورسائل)، ويضع الجنيد على رأس قائمة العلماء الذين لهم القِدحُ المعلَّى في هذا المجال، وما ذاك إلَّا لعلوِّ مكانته ولاسيما في مجال (الأخلاق)[1].

الخاتمة

توصلنا في نهاية هذا البحث، إلى نتائج قيِّمة؛ نذكر منها:

١. يعد الجنيد البغدادي مرجعاً مهماً مِن المراجع المعتمدة في تأصيل (القيم الأخلاقية) قولاً وفعلاً وحالاً.

٢. يقوم منهج الجنيد البغدادي ولاسيما في علم الأخلاق؛ على الوحي الإلهي المتمثل بـ(القرآن الكريم) و(السنة النبوية المطهرة).

٣. ركَّز الجنيد البغدادي على القيم العالية؛ التي تبني الإنسان بناءً صحيحاً، والتي تنفعه في الدنيا والآخرة، وتوصله إلى طريق الحق ﷻ؛ كالصدق، والصبر، والإخلاص، والمحبة، وغيرها مِن القيم النبيلة التي يتميَّز بها دينُنا الإسلامي.

٤. لقد أثَّرت (القيم الأخلاقية) عند الجنيد البغدادي على أبناء جيله، وعلى جميع الأجيال التي تَلَتْهُ، ولاتزال الأجيال تنهلُ مِن نَبْعِها الصافي، فمنهم مَن أسلمَ، ومنهم مَن اهتدى، ومنهم مَن استطاع النهوض بنفسه، وكلُّ ذلك بفضل الله ﷻ أنْ وفَّق سيدَنَا الجنيدَ البغدادي لهذا الطريق القويم، وجعله هادياً مهدياً، ومؤثِّراً على مرِّ الأجيال بعلمه، وحاله، ومنهجه المتميز في بث روح القيم الأخلاقية السامية، على الطريق الصحيح، والنهج القويم الذي جاء به الدين الإسلامي، وسار عليه الأنبياء والصالحون، وفي مقدمتهم نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله في البدء وفي الختام... وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي (ت، ٣٨٠هـ)، ص ٣٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب- دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، السعيد بو معيزه، وهي أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم علوم الإعلام والاتصال، في كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، (٢٠٠٥-٢٠٠٦م).

٢. الأخلاق وبقاء الحضارات، لمحمود الشال، مقال الكتروني في موقع الألوكة، بتاريخ (١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م)، عنوان الرابط: (https//:www.alukah.net).

٣. الأخلاق، أحمد أمين، طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (٢٠١٢م).

٤. استراتيجية تعزيز الأمن الفكري: متعب بن شديد بن محمد الهماش، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري- المفاهيم والتحديات- الرياض (١٤٣٠هـ).

٥. بعض مؤشرات التحفيز للعمل وعلاقتها بقيم العمل- دراسة استطلاعية في الثقافة والتسيير، لعبد الحفيظ مقدم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (١٩٩٢م).

٦. تاج العارفين الجنيد البغدادي- الأعمال الكاملة للجنيد البغدادي، دراسة وجمع وتحقيق: سعاد الحكيم، دار الشروق- القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

٧. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).

٨. تأمين الفكر الإسلامي: عطية صقر، (موضوع فتوى) موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصرية، رقم الموضوع (٨٣).

٩. التصوف على طريقة الجنيد السالك، للدكتور إسماعيل راضي، ضمن سلسلة دروس علمية بعنوان: (مبادئ التصوف وهوادي التعرف)، في الرابطة المحمدية للعلماء- جمهورية المغرب، منشورة في منصة الرائد الالكترونية.

١٠. التعرف لمذهب أهل التصوف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت.

١١. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٢. الثقافة وحتمية الاتصال- نظرة قيمية، عزي عبد الرحمن، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي، السنة (٢٦)، العدد (٢٩٥)، (أيلول/ سبتمبر- ٢٠٠٣م).

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل

بن إبراهيم البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام- الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ).

١٤. دستور الأخلاق في القرآن- دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار البحوث العلمية- الكويت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

١٥. دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، د. مقداد يالجن، دار الشروق- بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٦. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

١٨. الصراع القيمي لدى الشباب، للسيد أحمد حسن الشحات، دار الفكر العربي- القاهرة، (١٩٨٨م).

١٩. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).

٢٠. طبقات الصوفية: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٢١. الطبقات الكبرى- لوافح الأنوار في طبقات الأخيار: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبةً إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْراني، (ت: ٩٧٣هـ)، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، (١٣١٥هـ).

٢٢. العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣. الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده: د. محسن عبد الحميد، مطبعة الخلود- بغداد، ومكتبة دار الأنبار- الرمادي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م).

٢٤. قيم النخبة الإدارية وعلاقتها بالتسيير الاستراتيجي- دراسة ميدانية بالمؤسسة الوطنية للحديد والفوسفات بتبسة، لمنير صوالحة، بحث منشور في قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، (٢٠٠٢- ٢٠٠٣م).

٢٥. القيم في المسلسلات التلفازية- دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعيِّنة من المسلسلات التلفازية العربية، مساعد

عبد الله المحيّا، دار العاصمة- السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).

٢٦. القيم والعادات الاجتماعية، فوزيه دياب، مع بحث ميداني لبعض العادات اجتماعية، دار النهضة العربية- بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٠٨م).

٢٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين، أبو الفضل ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).

٢٨. المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده، أبو الحسن المرسي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٢٩. مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي، الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد، بحث مقدم إلى ندوة (ماذا يريد التربويون مِن الإعلاميين)، وقائع الندوة، الطبعة الثانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م).

٣٠. المشروع الحضاري الإسلامي- الجانب الفكري أُنموذجاً بين القدرات والعقبات: الطالب جنيد ساجد جهاد، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإمام الأعظم-رحمه الله- الجامعة- بغداد (٢٠١١م).

٣١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

٣٢. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٣٣. مقومات الحضارة في القرآن والسنة، د. عبد الله راجح، مقال في مجلة الأزهر، في (صفر ١٤٣٧هـ- نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٥م).

٣٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، ما بين (١٩٧١- ١٩٩٤م).

Sources and References

-The Holy Quran.

1. Al-Ain: Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim, Abu Abdul Rahman Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), Investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarra'i, Dar and Library of Al-Hilal.

2. Al-Muhkam and Al-Muhit Al-A'zam: Ali bin Ismail bin Sidah, Abu Al-Hassan Al-Mursi (d. 458 AH), edited by: Abdul Hamid Handawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah- Bei-

rut, first edition (1421 AH- 2000 AD).

3. Al-Sihah, the Crown of Language and the Correct Arabic: Ismail bin Hammad, Abu Nasr Al-Jawhari Al-Farabi (d. 393 AH), Investigation: Ahmed Abdul Ghafoor Attar, Dar Al-Ilm Lil-Malayin- Beirut, Fourth Edition, (1407 AH- 1987 AD).

4. Al-Tabaqat Al-Kubra- Lawafeh Al-Anwar fi Tabaqat Al-Akhyar: Abdul Wahhab bin Ahmed bin Ali Al-Hanafi, attributed to Muhammad bin Al-Hanafiyyah, Al-Sha'rani, (d. 973 AH), Library of Muhammad Al-Maliji Al-Kutbi and his brother, Egypt, (1315 AH).

5. Biographies of the Nobles: Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz Al-Dhahabi (d. 748 AH), Investigation: A Group of Investigators Supervised by Sheikh Shuaib Al-Arnaout, Al-Risala Foundation, Third Edition, (1405 AH - 1985 AD).

6. Culture and the Inevitability of Communication- A Value Perspective, Ezzi Abdul Rahman, a research published in Al-Mustaqbal Al-Arabi Magazine, Year (26), Issue (295), (September- 2003 AD).

7. Definitions: Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani (d. 816 AH) Investigation: A group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah- Beirut, first edition (1403 AH- 1983 AD).

8. Dictionary of Contemporary Arabic Language, Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar (d. 1424 AH) with the help of a work team, Alam Al-Kutub, first edition, (1429 AH - 2008 AD). 32. Dictionary of Language Standards: Ahmed bin Faris bin Zakariya, Abu Al-Hussein Al-Qazwini Al-Razi (d. 395 AH) Edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr (1399 AH- 1979)

9. Ethics and the Survival of Civilizations, by Mahmoud Al-Shal, an electronic article on the Al-Alokah website, dated (1438 AH- 2017 AD), link address: (https://www.alukah.net).

10. Ethics, Ahmed Amin, published by Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt, (2012 AD).

11. History of Baghdad: Abu Bakr Ahmad bin Ali bin Thabit bin Ahmad bin Mahdi al-Khatib al-Baghdadi (d. 463 AH), edited by: Dr. Bashar Awad Marouf, Dar al-Gharb al-Islami- Beirut, first edition, (1422 AH- 2002 AD).

12. Islamic Thought, Its Evaluation and Renewal: Dr. Mohsen Abdul Hamid, Al-Khulud Press- Baghdad, and Dar Al-Anbar Library- Ramadi, First Edition (1408 AH- 1987 AD).

13. Lisan Al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Jamal Al-Din, Abu Al-Fadl bin Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifi Al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir- Beirut, Third Edition (1414 AH).

14. Recognition of the doctrine of the people of Sufism: Abu Bakr Muhammad bin Abi Ishaq bin Ibrahim al-Kalabadhi al-Bukhari al-Hanafi (d. 380 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah- Beirut.

15. Securing Islamic Thought: Attia Saqr, (Fatwa Topic) Encyclopedia of Fatwas of the Egyptian Dar al-Ifta, Topic No. (83).

16. Social Values and Customs, Fawzia Diab, with a Field Study of Some Social Customs, Dar Al-Nahda Al-Arabiya- Beirut, Second Edition, (1908 AD).

17. Some indicators of motivation for work and their relationship to work values - a survey study in culture and management, by Abdul Hafeez Muqaddam, University Publications Office- Algeria, (1992 AD).

18. Strategy for Enhancing Intellectual Security: Mutaib bin Shadid bin Muhammad Al-Hamash, a research presented to the First National Conference on Intellectual Security- Concepts and Challenges- Riyadh (1430 AH).

19. Sufism according to the method of al-Junayd al-Salik, by Dr. Ismail Radi, within a series of scientific lessons entitled: (Principles of Sufism and Guides of Recognition), in the Muhammadiyah League of Scholars - Republic of Morocco, published on the electronic platform of al-Raed.

20. Taj Al-Arifin Al-Junayd Al-Baghdadi- The Complete Works of Al-Junayd Al-Baghdadi, Study, Collection and Investigation: Suad Al-Hakim, Dar Al-Shorouk- Cairo- Egypt, Second Edition, (1426 AH- 2005 AD).

21. The Classes of Sufis: Muhammad ibn al-Husayn ibn Muhammad ibn Musa ibn Khalid ibn Salim al-Nishaburi, Abu Abd al-Rahman al-Salami (d. 412 AH), edited by: Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, first edition, (1419 AH - 1998 AD).

22. The Comprehensive Authentic and Concise Collection of the Affairs of the Messenger of Allah (PBUH), His Sunnahs and His Days (Sahih Al-Bukhari): Muhammad bin Ismail bin Ibrahim Al-Bukhari, (d. 256 AH), Investigation: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Al-Salam- Riyadh, first edition, (1419 AH).

23. The Constitution of Ethics in the Qur'an - A Comparative Study of Theoretical Ethics in the Qur'an, Dr. Muhammad Abdullah Daraz, Translation, Investigation and

Commentary: Dr. Abdul Sabour Shaheen, Al-Risala Foundation- Beirut, Dar Al-Buhuth Al-Ilmiyah- Kuwait, Fourth Edition, (1402 AH- 1982 AD).

24. The extent of the influence of Arab-Islamic values on children's programs in the Arab Gulf States, Professor Abdul Tawab Youssef Ahmed, a research presented to the symposium (What do educators want from media professionals), symposium proceedings, second edition, Arab Bureau of Education for the Gulf States, (1406 AH- 1985 AD).

25. The Great Classes of Shafi'is: Taj al-Din Abd al-Wahhab ibn Taqi al-Din al-Subki (d. 771 AH), edited by: Dr. Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Dr. Abdul Fattah Muhammad al-Halu, Dar Hijr for Printing, Publishing and Distribution, second edition, (1413 AH).

26. The impact of the media on values and behaviors among young people- a survey study in the Blida region,

27. The Islamic Civilizational Project- The Intellectual Aspect as a Model between Capabilities and Obstacles: Student Junaid Sajid Jihad, Master's Thesis submitted to the College of Imam Al-A'zam- may God have mercy on him- University- Baghdad (2011 AD).

28. The Role of Islamic Moral Education in Building the Individual, Society and Human Civilization, Dr. Muqdad Yaljan, Dar Al-Shorouk- Beirut, Cairo, First Edition, (1403 AH- 1983 AD).

29. Value Conflict Among Youth, by Sayyid Ahmad Hassan al-Shahat, Dar al-Fikr al-Arabi- Cairo, (1988).

30. Values in Television Series- A Descriptive Analytical Comparative Study of a Sample of Arab Television Series, Musaed Abdullah Al-Muhya, Dar Al-Asima- Saudi Arabia, First Edition, (1414 AH).

31. Values of the Administrative Elite and Their Relationship to Strategic Management- A Field Study at the National Iron and Phosphate Corporation in Tebessa, by Mounir Sawalha, a research published in the Department of Sociology, Faculty of Social Sciences, University of Algiers, (2002-2003).